

تداعيات الألم في شعر الدكتور ابراهيم ناجي

الأستاذ الدكتور
صدام فهد الأسدي
الباحثة
رباب حسين مزهر
جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة :

من منا لم يعرف الألم و من لم يذق لوعته وأساؤه و من لم يذرف دموعا بحرقة، فالحزن و الألم هوية الانسان الحقيقي و من لم يحزن و لم تخط الدموع على خديه طريقا و لم يصارع الايام و ألأمها فهو ميت لا محالة ، و هذه الظاهرة سيطرت على ابراهيم ناجي من رأسه حتى اخمص قدميه و انعكس ذلك على شعره من الفه الى يائه فلا نستطيع ان نلمح فيه ظلا لشاعر غير الدكتور ابراهيم ناجي فهو فيه بذائته و طابعه و طريقة تفكيره و الوان عاطفته و نوازع شعوره .ومن دراستي للألم في حياة ابراهيم ناجي و شعره تناولت في بحثي هذا اسرار الحزن و الألم في حياته و الشكوى في شعره ، و تجسيد الألم و المأساة في شعره الغزلي و اختتم بحثي هذا في معرفة طابع الحزن و اللوعة في شعر ابراهيم ناجي .

التمهيد:

لمحة من حياته :ولد ابراهيم ناجي و زاد اهله بشرى و زاد اهل مصر زيادة لا تحصى لان الوليد شاعر ... و ما بالقليل ان يولد في الامة شاعرا ، و ذات يوم سحب الوالد ابنه الى طنطا في مولد السيد البدوي ، فمرا بكتبي رأى في المولد فرصة ذهبية لتصريف ما عنده و وقف الاب يتفقد النفيس المجهول ، فعثر بين

العدد التخصصي التاسع - الدراسات اللغوية والأدبية - كانون الأول ٢٠١٦



الكتب المبذولة بالعرض الغافل على ديوان حافظ ابراهيم ، فالتقطه و نقد الكتبي الثمن ، ثم التفت الى ابراهيم و قال له : " اقرأ هذا ايضا و لو ان الفرق بينه و بين شوقي كبير - كبير جدا ... " ^١ .

و في يوم اخر اصطحب الوالد ابنه الموهوب لزيارة قريب قاطن بحي الامام الحسين (عليه السلام) - و في عودتهما اشترى له ديوان الشريف الرضي ، و مضيا في طريقهما حتى مكتبة امين هندية ، فأشار الاب الى المكتبة و عرف ابنه بها ، و قال له : " سأشتري له ديوان خليل مطران ليكون عندك فكرة كاملة عن شعراء مصر " ^٢ .

وقال الباحث احمد راضي (ان ناجي عاش سنيه الاخيرة يفيض على الناس انساً ورحمة لم يجد من يجزيه عن الوفاء وفاء وعن الرد الفة واخاء) ^٣

المبحث الاول : اسرار الحزن و الالم في حياته :

على حد تعبير الدكتور عبد الملك بومنجل (التجربة الشعرية هي ذلك الانفعال الشعري في تلك اللحظة الشعورية وفي لحظات الحياة تلك الدفقة النابضة في القلب) ^٤ في الشعر و نقده عانى ناجي الوحدة القاتلة بأمانيتها الضائعة و ذكرها الحزينة و هو شاعر له ظمأ يشتهي الري فلا ينال فيعيش على الامل الذاهب لما يعز عليه النسيان :

يا وحدتي جئت كي انسى و ها انذا ما زلت اسمع اصداً و اصواتا
مهما تصاممت عنها فهي هاتفة يا ايها الهارب المسكين هيها
.....

تلقت القلب مطعوناً لوحده و اين وحدته ؟ باتت كما باتا
حتى اذا لم يجد رياً و لا شعباً افضى الى الامل المعطوب فاقطاً ^٥
و هو لا يفلت من وحدته و وحشته حتى تطغى فتعمره من جديد :
لذعتني دمة تلّح خدي نبهتني من ضلال ليس يجدي

و اختفت تلك الرؤى عن ناظري و طواها الغيب في سحري برد
و تلفت فلا انت و لا جنة الخلد و لا اطياف سعد
و اذا ب غارق في محنتي و بلائي اقطع الايام وحدي^٦
و لعلك تشعر معي اننا مقبلون على ديوان شجي و شاعر حزين و متى كان هذا ؟
في سنة ١٩٣٤ اي في طور الشباب ...

يا هم قلبي في صبا ايامه و سهاد عيني في الليالي الاولى^٧
ترى ما سره ؟ و فيم اساه ؟ ها هو ذا الجواب في قصيدة المآب .
كد على كد و لست ببالح لا ضنى متتابعا و نحولا
صدأ الحوادث بدل الاشراق في فكري و كدر خاطري المصقولا
و تتابع الانواء في افق الصبا لم يبق لي صحوا اراه جميلا
و يصف ناجي البحر فيقول في قصيدة الميعاد :

و كم لاح لي حرب الحياة على امواجه المجنونة الزبد
و رأيت طيف الضنك مرتسما في عاصف الانواء مطرد
في الليل مد رواقه و ثوى كجوانح طويت على حسد^٨
و يبدو ان الحياة في حريها كانت قاسية لا ترحم ، حتى انتهى الموت ليفارقها و
رأى في القبر مباهج لا تحصى في القصيدة نفسها :
قبر مباهجه بلا عدد لفتى متاعبه بلا عدد
من يومه يوم بلا امل و غد بلا سلوى و بعد غد
ما الذي حدا به الى هذا ؟ ... صه ... لقد بدأ يتكلم قصيدة العودة :
اه بما صنع الدهر بنا او هذا الطلل العابس انت
و الخيال المطرق الرأس انا شد ما بتتا على الضنك و بت^٩

و هو يؤكد انه لا يستسيغ في دنياه شيئا :

كل شيء صار مرا في فمي بعد ما اصبحت بالدنيا عليما

اه من يأخذ عمري كله و يعيد الطفل و الجهل القديم^{١٠}

ان الرجل لا يصرخ هذه الصرخة الا ان تكون قد كشفت له عن حقائق مرة غص بها ...

ترى لم ضاق ذرعا بالحياة و الاحياء ؟ انه يقول في قصيدة الليالي ديوان وراء الغمام :

مللت في حياته العوالم مهزلة الموت و الحياة
و صورة القيد في المعاصم و وصمة الذل في الجباه
هياكل تعبر المسنين واحدة العيش و النظام
واحدة السخط و الانين واحدة الحق و الخصام^{١١}
و هناك داء قتال كاف يعاني منه ناجي و هو بلا ريب من دواعي تبرمه و تشاؤمه
و مرارته ... ذلك هو (الظلم) ... و الظلم اشد قسوة على الحساس المرفه
الشاعر بنفسه ذي الالباء من قصيدة في رثاء المرحوم انطوان جميل من ديوان
ليالي القاهرة .

صامدا للظلم و الظلم له معول يهد مني عن كذب
و انا ادفعه عن منكبي بيدي حتى تهاوى منكبي
و تماسكت فلم يبق سوى كبرياء هي درع للابي^{١٢}
و يعزى تشاؤم ناجي الى شدة احساسه بالعواطف الرقيقة (لقد تضاعف شعوره
بالألم عندما يعترض طريقه مشهد مؤثر او فاجعة رهيبة او مجرد سماع انسان
يشكو او اخر يستجدي او ثالث يتظاهر بالسعادة و في عينيه اثر مجاهدة الدموع
..)^{١٣}

و الام تدفعنا الحوادث في عباب يلتطم
دفعت بمركبنا المقادير الخفية و النسم
خرجت و ما تدري النواة باي صخر ترتطم
بدأت على ريح الرضا و الله يدري المختتم^{١٤}

المبحث الثاني : الشكوى في شعره: لقد شكنا ناجي و بكى بل لقد اردف النفي و
الاثبات في نفس القصيدة ... او ليست هذه شكوى من قصيدة شكوى الزمن من
ديوان ليالي القاهرة :

يا كم غرست و كم سقيت و كم نضرت من زهر و اوراق
ما حيلتي و الارض مجدبة سيان اقلالي و اغداقي
اين الذين رفعت فانحدروا و بنيتهم بنيان خلاق^{١٥}
الا تشي هذه الابيات بحسرتة ؟ بتفجيعة ؟

ان كنت لم اغنم فقد ظفروا مني بمغفرتي و اشفاقي^{١٦}
و من هتاف الوطنية على لسان ناجي هذا البيت في وصف النسر المصرية :
و هلل السين اذا هلت طلائعنا طلائع المجد من ابناء وادينا^{١٧}

و بدت الاجنحة المحلقة و احترقت فذرف ناجي الدموع ... ذرفها عن ضعف
المنكوب و ان سلم شخصه الشاعر بالمصيبة و ان لم تمس منه الجسم و لكن
قطعة من وطني تتلظى فيحس قلبه لفح النار ، و لكن اخوة له في الوطن يقضون
فيبكي قلبه المصري لحما و دما ، المصري املا و هوى ، يبكي قلبه و يبكي شعره
من اجلهم و من اجل مصر الام :

يا امتي كم دموع في مآقينا نبكي شهيدك ام نبكي امانينا
يا امتي ان بكينا اليوم معذرة في الضعف بعض المآسي فوق ايدينا^{١٨}
ان ناجي مواطن صادق ، كبير الالم ... كبير العاطفة و على حبه لوطنه ضاق
صدره مرة ، فقال و هو يصف الليل في فينيسيا :

يا رب ما اعجب هذي البلاد لا ليل فيها كل ليل صباح
و كل وجه في حماها ضماد و مصر لا تتبت الا الجراح^{١٩}

ثم يشكو ناجي فيقول :

ما بقائي و اجمل العمر ولى و انتظاري حتى يحين الشتاء

يطلع الفجر مرهقا شاحب النور عليه الكلال و الاعياء

العدد التخصصي التاسع - الدراسات اللغوية والأدبية - كانون الأول ٢٠١٦



و بنفسي دب المساء و هل الليل من قبل ان يحين المساء^{٢٠}
فلما غشت ظلمة الليل لوعته هرع الى النهر يناديه من قصيدة الليالي :

يا نهر لي جذوة بجنبي هادئة الجمر بالنهار
فان دنا الليل برحت بي و ساكن الليل كم اثار
وقفت حران في ازائك فهل ترى منك مسعد
وددت القى بها لمائك لعلها فيك تبرد^{٢١}

يبدو ان جذوته استعصت على ماء النهر ... و لكنه قلق بين ماض دام يرهقه و
حاضر قاس يؤرقه من القصيدة نفسها :

ماض و كم فيه من عثار و من عذاب قد انقضى
كم قلت لا يرفع الستار و لا ادكار لما مضى^{٢٢}

ها هو ذا خاطر جديد يلوح له ... ليتجه الى البحر ... ليناجيه مناجاة شاعر و
يهمس اليه همسا فيه شاعرية و حساسية و رفيف من قصيدة خواطر الغروب من
ديوان وراء الغمام .

و جعلت النسيم زادا لروحي و شربت الظلال و الاضواء
لكأن الاضواء مختلفات جعلت منك روضة غناء

مر بي عطرها فاسكر نفسي و سرى في جوانحي كيف شاء^{٢٣}
ان لواعجه لا تهدأ و همومه لا تقتر حتى يغمره عجز عن غسل هذه الهموم .

انت باق و نحن حرب الليالي فرقتنا و صيرتنا هباء
انت عات و نحن كالزبد اذا هب يعلو حيناً و يمضي جفاء
و عجيب اليك يمت وجهي اذ مللت الحياة و الاحياء
ابتغي عندك التآسي و ما تملك لك ردا و لا تجيب نداء^{٢٤}

اذن لا مطمع له في الارض ... ليشرئب الى القمر ... لعله احنى ذلك الوضاء
الجميل :

قمر الاماني يا قمر اني بهم مسقم

انت الشفاء المدخر فاسكب ضيائك في دمي
افرج خلودك في الشباب و اخلع على قلبي الصفاء
اسفا لعمر كالحباب و الكأس فائضة شقاء^{٢٥}
فلما لم يجد سميعا من الليل والنهر والقمرلاذ بحمى النيل الوالد كما لاز به في القدم
آباء و أجداد :

اقبلت للنيل المبارك شاكيا زمني و قد كثرت علي همومي
و مسحت كفي و الجبين بمائه علي اهديء ثورة المحموم
و جلست انثر جعبة معمورة بالذكريات جديدها و قديم^{٢٦}
و هو علي فيض اساه طول شكواه حمل صبور متعجل ... يستقبل العائد فييهتف
من قصيدة العائد ص ٢٦ من ديوان ليالي القاهرة :

سلام على غائب عن عيوني حملت حطامي الى داره

تناسى الاسى هاهنا او يقال حملت الظلام لانواره
اتغدو الى عتبات النعيم بلفح الجحيم او اعصاره^{٢٧}

المبحث الاول : تجسيد الألم و المأساة في شعره الغزلي

الصياغة الابداعية (هي التجديد الذي يتأكد صعوده الخاص و العام هو المحور
المتضمن في اطاره القانوني الذي يحكم النص الشعري بشتى الدلالات النظرية^{٢٨}
ان الغزل نشيد الحب ... ان (ناجي) يقول من قصيدة دين الاحياء ص ١٥٤ وراء
الغمام :

هي قصة الدنيا و كم من ادم منا له دمع على حواء

كل به قيس اذا جن الدجى نزع الاباء و باح بالبرحاء

فاذا تداركه النهار طوى المدامع في الفؤاد و ظن في السعداء^{٢٩}

كل له (ليلي) و من لم يلقيها فحياته عبث و محض هباء
 كل له (ليلي) يرى في حبها سر الدنى و حقيقة الاشياء
 و يرى الاماني في سعي غرامها و يرى السعادة في اثم شقاء
 الكون في احسانها و العمر عند د حنانها و الخلد يوم لقاء^{٣٠}
 و ناجي يرى في الحب متنفسه في قصيدة خمر الرضا من ديوان ليالي القاهرة :
 نضبت رحمة الوجود جميعا و بك الرحمة التي ليس تنضب
 و اذا ضاقت السماء بشجوى فالسما التي بعينيك ارحب
 كم تمنيت و الصدور تجافيني و تزور و الوجوه تقطب
 كم تمنيت صدرك البر يرتاح على خفقة الطريد المعذب
 هات وسدني الحنان عليه جسدي متعب و روعي متعب^{٣١}

(جسدي متعب و روعي متعب) (نضبت رحمة الوجود جميعا بك الرحمة التي
 ليس تنضب) ... شقاء عيش تمسحه هناءة الحب ... و هذه هي خلاصة قصته
 ...

و ناجي رقيق فياض العاطفة تستطيع دمعة من الحبيب ان تظهر الدنيا التي اشقته
 بحرا من الآثام ... و هل ارق من هذه المناجاة :

يا مناجاتي و سرى و خبالي و ابتداعي
 و متاعا لعيوني و شميمي و سماعي
 تبعث السلوى و تنسى الموت مهتوك القناع
 دمعة الحزن التي تسكبها فوق ذراعي^{٣٢}

و ناجي العاشق و روح شفافه هفافة مجنحة اسمعه معنى تطرب لقوله :
 سموت كانما امضي الى رب يناديني

فلا قلبي من الارض و لا جسدي من الطين^{٣٣} ...

سموت و دق احساسي و جزت عوالم البشر

نسيت صغائر الناس غفرت اساءة القدر^{٣٤}

و لا ينفي هذا ارتداده الى بشريته احيانا و رغبته في الحب حسيا نائلا :
شفتي موتورة ضمانة جنت جنونا
انه مضطرم العاطفة متأجج الرغبة و لكنه لا ينال فيفرغ شحنة الشوق الملتهب في
المصافحة :

و كأن الان كفي حملت ثأرا دفينا
تتمناك حبيسا عندها العمر سجيننا
طائرا الفى على راحتها وكرا امينا
و شعاعا قدسيا هاديء النور مبينا^{٣٥}

و احيانا يضعف امام رغبات الحس فيصيح في الخلاء:
اعلى حد تعبير الدكتور محسن اطيماش (ان الغوص في الجوهر انما تعني تأمل
تلك الروح الغامضة و تأمل الحالات السايكولوجية و الواقعية المتغيرة انا و
الثانية انا اخر تبعا لتغير الزمان و المكان)^{٣٦}

اجر شفتي من عذاب الظما اما اذن الله ان ترحما
اتمعن في الجر حتى ترانا بكينا دما و احترقنا فما^{٣٧}
و لكن المذنب ليس بذنبه و انما هو الهوى و تلك جنايته :
و اذا حل الهوى هيهات تدري كيف كانا
فاذا ما ملك الا نفس اصلاها عوانا
فهو نصل مستقر و لهيب لا يدانى^{٣٨}
و لكن (ناجي) كما نادى بالشعر الحس ، خاطب الروح .
كم هدأ الليل و دان الكرى الا اخا شهد يغني شجاه
ناداك من اقصى الربى فاسمعي لمن ولى طول الليالي ناداه^{٢٠١٦}

نادي اليفا نام عن شجوه عذب تجنيه عزيز جناه
احبك الحب و غنى به عف الاماني و الهوى و الشفاه
و انما الحب حديث العلا انشودة الخلد و نحن رواه^{٣٩}

و كثيرا ما يعف ناجي في شعره :

قد عرفنا صولة الجسم التي تحكم الحي و تطغى في دماه
 امرتنا فعصينا امرها و ابينا الذل ان يغشى الجباه
 حكم الطاعي فكنا في العصاة و طردنا خلف اسوار الحياة^{٤٠}
 انه يسمى لذة الاثم حظا اسودا و ليلا ضريرا ... هنا روح متألقة ... و هو يتقانى
 في الحب حتى لبيذل من اجله ما يظن به على سواه :
 يا لها من خطة عمياء لو انني ابصر شيئا لم اطعها
 و لي الويل اذا لبيتها و لي الويل اذا لم اتبعها
 قد حنت رأسي و لو كل القوى تشتري عزة نفسي لم ابعها^{٤١}
 حتى اذا ارهقه الالم و امضه الشجن صرخ يائسا مجهودا :
 اعطني حريتي واطلق يديا انني اعطيت ما استبقيت شيئا
 اه من قيدك ادمى معصمي لم ابقه ؟ و ما ابقى عليا
 ما احتفاظي بعهود لم تصنها و الام الاسر و الدنيا لديا
 ها انا جفت دموعي فاعف عنها انها قبلك لم تبذل لحيا^{٤٢}
 و هو لا يرى في تقانيه ذلا ، و لا يتعارض مع الاباء ، لانه يبذل بمحض رغبته و
 يعطي بإرادته فهو ليس مكرها و لكنه بطل ...
 غرامك كان محراب المصلي كأني قد بلغت بك السماء
 خلعت الادمية فيه عني و لكن ما خلعت به الاباء
 فلم اركع بساحته رياء و لا كالعبد ذلا و انحاء
 و لكني حبيبك حب حر يموت متى اراد و كيف شاء^{٤٣}
 انه عزيز النفس ، و لقد تثور به عزة نفسه فيطرح من حرص عليه و ضحى من
 اجله وبذل:

و حبيب كان دنيا املي حبه المحراب و الكعبة بيته
 من مشى يوما الى الورد له فطريقي كان شوكا و مشيته

من سقى يوماً بماء ظامئاً فانا من قدح العمر سقيته
 اخفق القلب له مختلجاً خفقة المصباح اذ ينضب زيتته
 قد سلاني فتكرت له و طوى صفحة حبي فطويته^{٤٤}
 و لقد عنفت يوماً ثورته و اضطربت فجمع مادة حبه ، و رسائل الحبيب فحرقها :
 اشعلت فيها النار ترعى في عزيز حطامها
 تغتال قصة حبنا من بدئها لختامها^{٤٥}
 اتحسبه مرتاحاً هاديء البال ؟ كلا ... لقد احترق هو ايضا ... بل بكى و هو
 يحترق :

احرقتها و رميت قلبي في صميم ضرامها
 و بكى الرماد الادمي على رماد غرامها^{٤٦}
 و له حديث مع الريح ؟ لقد قالت له :

ايها الشاعر تغفو تذكر العهد و تصحو
 و اذا ما التام جرح جد بالتذكّار جرح
 فتعلم كيف تنسى و تعلم كيف تمحو
 او كل الحب في رأيك غفران و صفح
 هاك فانظر عدد الرمل قلوبا و نساء
 فتخير ما تشاء ذهب العمر هباء
 ضل في الارض الذي ينشد ابناء السماء
 اي روحانية تحصر من طين و ماء^{٤٧}
 و ها هو جوابه الى الريح :

ايها الريح اجل لكنما هي حبي و تحلق و يأس

هي في الغيب لقلبي خلقت اشرقت لي قبل ان تشرق شمسي
 و على موعدها اطبقت عيني و على تذكّارها وسدت رأسي^{٤٨}

ان مثل هذه الالحان لا تجد سميعة طروباً فهو يحكي :

يا نداء كلما ارسلته رد مقهورا و بالحظ ارتطم
و هتافا من اغاريد المنى عاد لي و هو نواح و ندم
رب تمثال جمال و سنا لاح لي و العيش شجو و ظلم
ارتمى اللحن عليه جاثيا ليس يدري انه حسن اصم^{٤٩}
ان شاعرنا من طبعه الوفاء لكن ماذا يفعل اذا اعوزه المقدر لوفائه المتجاوب معه :
يا قلب ! صهباء الهوى و بساطه و كؤوسه المتجاورات الصدح
و قف على متقلبين على الهوى يبيغون من لذاته ما يسنح
متبدلين موائد و احبة ما خاب من حب فاخر يفلح
فالحب اسيه وراء عليه فيهم و بلمسه على ما يجرح^{٥٠}
و شاعر الغزل تغنى به منذ طفولته الباكرة فقد ولد شاعرا كما يولد كل صادق
غريدا جاد ناجي في الشعر و هو في الثانية عشرة من عمره ، و طبيعي الا ننتظر
في مثل هذا السن الغضة فحولة او تدفقا و لكن حسب الغلام ابن الثانية عشرة ان
يقول :

هل انت سامعة انيني يا غاية القلب الحزين
عرف الانين مبكرا
يا قبلة الحب الخفي و كعبة الامل الدفين^{٥١}
لقد نم على الصغير شعره ... لقد عرف الحب غير انه يخفيه ... و قد كانت له
امال تتعلق له امال تتعلق بهذا الحب و هو في العاشرة او نحوها ، حتى يمكن
وصفها في الثالثة عشرة بالدفينة ! ... و هذه الآمال بالطبع تتجاوز رغبات الطفولة
الولوع بالحلوى و اللعب :

اني ذكرك باكيا و الاقق مغبر الجبين
و الشمس تبدو و هي تغرب شبه دامعة العيون
امسيت ارقبها على صخر و موج البحر دوني^{٥٢}

و يقول ناجي من قصيدة الصنم الجميل ص ٧٥ ديوان ليالي القاهرة :

يا قلبي الشاكي المعذب هذه الشكوى لما؟
يا طفلي النواح ان اليوم ان تتعلما
اسفي لغالي الدمع تبذله لمرتخص الدمى

تبكي على العرش المصو غ من المدامع و الدما
تبكي تراب الارض مصبوغا بالوان السما^{٥٣}

المبحث الثالث : طابع الحزن و اللوعة في شعر ناجي:

يقول ناجي : " الشعر عندي هو النافذة التي اطل منها على الحياة و اشرف منها
على الابد و ما وراء الابد .. هو الهواء الذي انتفسه ، و هو البلسم داويت به
جراح نفسي عندما عز الاساة هذا هو شعري "

ما دام و كان شعره نافذته الى الحياة اذن لقد ضمنه مرثياته و ادائه و انفعالاته بما
شاهد و رأى .وفي شعر ناجي ترجمة عن الغرب وتعريب فقد ترجم عن الالمانية (دعاء الراعي)^{٥٤}

كما عرب عن الفريد. دي موسيه (التذكار)^{٥٥} و القطعتان حزینتان ، و لعل هذا
السر في انها صادفتا هوى من نفسه ، ففي الاولى حزن دفين و خوف و رجاء و
دعاء ديوان وراء الغمام ...

يا ايها الحمل الوديع انا الذي يحنو عليك انا الحبيب الراعي
كم ليلة و الرعب يمشي في الدجى و الهول منتشر على الاصقاع
اغفيت في كنفي و في ظل الكرى كالطفل في امن من الالوجاع
يا رب قد وهت العصا و استأثرت غير الليالي بالقوى المباع
يا رب ان تك قد حكمت بفرقة و اذنت للراعي بوشك زماع
فانظر الى الحمل الوديع و وقه شر النفوس و فتنة الاطماع^{٥٦}

العدد التخصصي التاسع - الدراسات اللغوية والأدبية - كانون الأول ٢٠١٦



اما القصيدة الثانية ففيها دموع غائمة و لكنها عصية الانسكاب و ان لم تستعص
طويلا على كل حال فقد سالت في اخر القصيدة حتى بلت الصدى القلب و روت
حرقته ، و طلّت الماضي كما يطل ندى السحر و خدود الورد و كما يباكر ريق
الغيث اديم الروض ...

و قصيدة (التذكار) التي تستهل بهذه الابيات .

بي نزوع الى الدموع الهوامي غير اني اخاف من الامي
ايهذا المكان يا غالي الترب و مثوى عبادتي و احترامي
انت مثوى الذكرى و مدفنها الغالي القصي المجهول في الايام^{٥٧}

هذه القصيدة معرض لفلسفة الحزن عندما يكابر و يتكلف الصبر ، و يصطنع
الرضا ، بل يتمادى فيعييب الاسى و يرمي الاسوان بالضعف و الهزيمة ، بل
يستولد الهناءة من الحزن كما يستخرج الماس بلألائه من الفحم الاسود ... و لعنا
الان نهفو الى الوقوف على هذه الفلسفة فلسفة الحزن وفي القصيدة نفسها التذكار :

قد تراءى الصنوبر النضر اذ اي نع في قائم من الالوان
و تراءى لي المضيق البعيد ال ثغور يمتد في رخي المجاني
موحشات لكنما كن الا في و مهد الهنيء من ازماني
انا ما جئت هاهنا اذكر الاش جان في موطن فيه هنائي
ذلك الغاب رائع الحسن و الصم ت مثال الجلال و الكبرياء
و فؤادي عات كرائع هذا الغاب مستكبر على البرحاء
من يشأ ان يفيض يوما بشك واه فما هذا موضع الاحزان
قل لشاك هلا مضيت لتجتو عند مثوى ميت من الخلان
كل شيء حي هنا و نبات القبر ينمو في غير هذا المكان

فسلام مني على الايام كيف است في النازلات الجسام
لم اكن ادري ان جرحا بما كابدت منه من فانتك الالام

معقب لذة نفسي و احساس هناء لدى بعد التئام^{٥٨}
 و لكن هذه المقاومة لم تلبث حتى انهارت و هذا لحن الختام :
 ان تروا ادمعي فلا تزجروني و دعوني اني احب الدموعا
 لا تحفف ايديكم ادمعا تنفع قلبا لما يزل موجوعا
 ادمعي ستر مسبل فوق ماض قد تولى ما يستطيع رجوعا^{٥٩}
 و يبدو ان ناجي مال في سنيه الاخيرة الى نظم الرباعيات اذ بين شعره المخطوط
 رباعية منظمة في سلك واحد تناول فيها حسن الحبيب و الحنين اليه و الهاماته و
 استبطائه ونواه ... و في هذه الرباعيات احزان و وساوس و حسرات و تأملات و
 نظرات في الحياة و الحي و مصيرها ...
 و تنتهي الرباعيات بالتسليم بالواقع اليائس الذي لا حيلة له ، الزاهد لانه لم يجد ،
 لا لانه وجد فما انتهى او اراد ، ومن هذه الرباعيات :
 قلبي مع الناس و لحظي شرود في عالم رحب بعيد الشعاب
 عيني على سر وراء الوجود و بغيتي عرش وراء السحاب
 رأيت الغيب الذي لا يرى كشفت لي ما لا يراه البصير
 ثم انحدرنا نستشف الثوى على وراء الترب سر السفير
 و القمر الفضي بين الغيوم يخفق كالمنديل عند الوداع
 واحسرتاه هل صورته الهموم كالزورق الغرق الشراع^{٦٠}

العدد التخصصي التاسع - الدراسات اللغوية والأدبية - كانون الأول ٢٠١٦

و من شعر ناجي الحر :
 لم يزل في شممي عطرك العبق ...
 و بين جفني خيال احرص عليه كحياتي^{٢٠١٦}
 و من مسمعي ضحكة حلوة كرنين البلور
 و بين يدي كنز من يديك مسلمتين و مودعتين
 و من ((... بحر و ذكرى و دمعان ...))



يا الله بما يحمل لي هذا المساء المعطر

المبتل الساكن ... مبتل لانه ^{٦١}

ان ناجي ناقد غنى و تغزل و ناجى و استعطف و تحرق و بكى و شكى و رسم
صورا للحياة و الاحياء و ترجم و عرب و رثى و هجاء و مدح و ما جدوى الشعر
و عمل الشاعر غير هذا :

ما جمال الربيع في الروض ان لم يشد طير في الروضة الغناء

ما جمال السماء و البدر ان لم يشد سار في الليلة القمرء

و اضياع النبوغ في مصر ان لم تتحدث مناير الخطباء

و اضياع النبوغ في مصر ان لم يك تخليده على الشعراء ^{٦٢}

فقد كان ناجي حسب الطبيب الاسى من ميزات الانسان الرفيعة ما ابرأ من علات
و ضمد من جراح و احيا من امال و هدأ من روع و سكن من وجيب و انزل من
رحمة ... و كم لناجي في هذا المضمار من مؤثر تأثر ، و ايجاد تذكر بالحمد
العميق

المبحث الرابع : فن ناجي الشعري: (فالموسيقى) عند ناجي هي (من حيث انها
تحتاج الى اللفظ و الصياغة و الانسجام فهي اذن في حاجة الى امام عظيم باللغة
، هذا الى ذوق خاص لا يمكن اكتسابه بسهولة ، و الى اذن تحسن الاستماع و
تمييز الانغام) ^{٦٣} .

(اما الاقناع) فهو قوة خاصة في الشعر ، بحيث يضطرك الشاعر الى متابعتة ،
و الى السير وراء رأيه و الايمان به ، و يملك عليك مشاعرك ، بدون ان يملك او
يشعرك انه يقودك و انت تتبع ساحراً جباراً لا خلاص لك منه) .

(و الخيال) ... هو (اطلاق العنان للتصورات (العالية) لا للاستعارات و
الكنايات اللفظية ...) ^{٦٤}

و قد تناول ناجي في نقد لشوقي (الصور الشعرية) و هي تعني عنده (انك تقرأ

قطعة للشاعر فلا تملك الا ان ترى الشيء مرسوما امامك بوضوح مجسما قويا

بارزا) اي ان الشاعر ينبغي ان يكون مصورا بوضوح ، و الفاظ الشعر يجب ان تكون موحية ...) ^{٦٥}

و الذي نخرج به من هذه التعاريف صريحة و مضمونة هو ان الشعر يقاس بما فيه من :

تصورات و اخيلة . وألفاظ نقية صافية تشرق بها المعاني .

صياغة متوائمة مع موضوع القصيد . موسيقى سابغة .

وحدة تنتظم القصيدة هي الوحدة الشعرية . صحة في الاداء .شخصية الشاعر .

و على ضوء هذا المقياس نمضي نقيس شعر ناجي و نقدره ... بعد ان نضيف اليه عاملا اخر هو (قيمة التجربة الشعرية) ^{٦٦} .

و لنطبق التجربة الشعرية فهي احق بالتقديم اذ هي الحافز الذي يثير الشاعر الى

قول الشعر و هي بهذا اللبنة الاولى في بناء القصيدة ، و يشترط ناجي في التجربة

الشعرية (الصدق و الاقناع القلبي) و يسأل كيف تصهر التجربة؟ فيقول :

((ان الوعي يتصل بغير الوعي ... ثم يطفو عليهما ضباب ملون مشبع بالذكريات

و هذا الضباب يغطي اجزاء التجربة حيث يجري تركيبها من جديد . لا حسبما

وجدت في الطبيعة بل حسبما رءاها الفنان .. و من ذلك يتضح لنا لماذا قال سانت

بيت ((ان الفن مزاج فردي)) ... و يتضح كذلك ان النقد يتعين عليه تمييز

الاساليب لا تطبيق القواعد..)) ^{٦٧} .

لقد كان ناجي وليد انفعالات اثارها في نفسه دوافع خارجية اثرت فيه او عوامل

داخلية نتيجة لاستنباطه نفسه .

فقد كان ناجي في معظم شعره يصدره عن طبع و تأثر و قد رأينا موجات نفسه في

شعره و كيف كان هذا الشعر صدى اعتمل مني تلك النفس من مشاعر ...

(الحوار عند ناجي)

و من صفات ناجي ، انه لا يحب المنصة ليلقي منها ما لم يتوصل اليه علم

السامع له يسر و يشكو و يقص و يحاور تارة و يحاور قلبه اخرى .

لم عدنا ؟ الم نطو الغرام و فرغنا من حنين و الم
و رضينا بسكون و سلام و انتهينا لفراغ كالعدم^{٦٨}

الخاتمة :بين الحزن و اللوعة و ما خلفته هذه المعاناة من اسى و دموع و شجون
قضى ابراهيم ناجي ساعات و اياما و سنينا حتى انه لا يفرح الا بعد حزن طويل و
هم كبير و لا يبتسم الا و عيناه تفيضان دموعا و لكنه رغم حزنه و يأسه و
تشاؤمه و لوعته فهو رجل يرى جلال العالم في لمحة واحدة و يرى الجمال في كل
نواحيه و يطعنه القبح كخنجر ، يأبى ان يرى الظلم يقع على الاخرين كانه يقع
على نفسه رجل يعرف العالم بأجمعه كما يعرف الآخرون الفرد بالتفصيل و يعرف
الزهور كعلماء النبات رجل يظن مجنونا بينما هو في الحقيقة رجل يسمع صوت الله
من حين الى حين.

الهوامش:

- ١ - ناجي الشاعر ١٧
- ٢ - المصدر نفسه ٣٣
- ٣ - المصدر نفسه ٣٤
- ٤ - في الشعر ونقده ٢١٥
- ٥ - ديوان وراء الغمام ٦
- ٦ - ديوان وراء الغمام ٧
- ٧ - ديوان وراء الغمام ٤٢
- ٨ - ديوان وراء الغمام ٤٥
- ٩ - ديوان وراء الغمام ٤٧
- ١٠ - ديوان وراء الغمام ٤٩
- ١١ - ديوان وراء الغمام ٥٤
- ١٢ - ديوان ليالي القاهرة ١٢٧
- ١٣ - ناجي الشاعر ٨٤
- ١٤ - ديوان وراء الغمام ٦٥
- ١٥ - ديوان ليالي القاهرة ٦٨
- ١٦ - المصدر نفسه ٦٩
- ١٧ - ديوان وراء الغمام ٦٧
- ١٨ - المصدر نفسه ٦٨
- ١٩ - المصدر نفسه ١١٢
- ٢٠ - المصدر نفسه ١١٣
- ٢١ - ليالي القاهرة ٥٩
- ٢٢ - ديوان وراء الغمام ١١٤
- ٢٣ - المصدر نفسه ٧٣
- ٢٤ - المصدر نفسه ٧٣
- ٢٥ - المصدر نفسه ٦٤
- ٢٦ - ديوان ليالي القاهرة ٦٨

- ٢٧ - المصدر نفسه ٢٦
- ٢٨ - التجربة الحسية ١١٢
- ٢٩ - وراء الغمام ١٥٤
- ٣٠ - ليالي القاهرة ١٨٦
- ٣١ - المصدر نفسه ١١١
- ٣٢ - المصدر نفسه ١١٩
- ٣٣ - المصدر نفسه ١١١
- ٣٤ - المصدر نفسه ١٣
- ٣٥ - تحولات الشجرة ١٩
- ٣٦ - ديوان وراء الغمام ١١٧
- ٣٧ - المصدر نفسه ٩٠
- ٣٨ - المصدر نفسه ٧٣
- ٣٩ - المصدر نفسه ١١١
- ٤٠ - المصدر نفسه ٦٤
- ٤١ - المصدر نفسه ٢٦
- ٤٢ - المصدر نفسه ٤٧
- ٤٣ - المصدر نفسه ٦٤
- ٤٤ - المصدر نفسه ٤٣
- ٤٥ - المصدر نفسه ٤٣
- ٤٦ - المصدر نفسه ٧٧
- ٤٧ - المصدر نفسه ٣٦
- ٤٨ - المصدر نفسه ٤٤
- ٤٩ - المصدر نفسه ٥١
- ٥٠ - المصدر نفسه ١٧
- ٥١ - المصدر نفسه ٢٣
- ٥٢ - ليالي القاهرة ٧٥
- ٥٣ - ناجي الشاعر ١١٤

- ٥٤ - ديوان وراء الغمام ١١٠
٥٥ - ديوان وراء الغمام ١١٠ .
٥٦ - المصدر نفسه ١١٢
٥٧ - المصدر نفسه ١١٣
٥٨ - المصدر نفسه ١١٧
٥٩ - ناجي الشاعر ٧٦
٦٠ - ديوان وراء الغمام ١١٧
٦١ - المصدر نفسه ١١٩
٦٢ - المصدر نفسه ١٢٣
٦٣ - ناجي الشاعر ١١٤
٦٤ - المصدر نفسه ٨٥
٦٥ - المصدر نفسه ١١٧
٦٦ - صوت الجبل ٢٠
٦٧ - المصدر نفسه ٢١
٦٨ - ديوان وراء الغمام ٩٩

المصادر :

- ١- الاعمال الكاملة شعر ابراهيم ناجي دار الشروق - بيروت - لبنان سنة ١٩٨٦
- ٢- تحولات الشجرة الدكتور محسن أطيمش بغداد وزارة الثقافة دار الشؤون الثقافية ٢٠٠٦
- ٣- ديوان وراء الغمام دار العودة بيروت - لبنان مقدمة سامي الكيالي سنة ١٩٨٩
- ٤- التجربة الحسية و التأمل الدكتور علاء هاشم مناف مؤسسة دار الصادق الثقافية سنة ٢٠١٢
- ٥- كتاب صوت الجبل الأستاذ ابراهيم المصري
- ٦- ناجي الشاعر (نفحات احمد فؤاد) بيروت لبنان ،سنة ١٩٨٣
- ٧- في الشعر و نقده الدكتور عبد الملك بو منجل عالم الكتاب الحديث الاردن ٢٠١١.

الملحقات

- ١- الاديب ، مجلة تصدر عن بيروت لبنان العدد السادس ، ١٩٥٤ .